لغة العلم

أداة البحث ، ووسيلة الشرح ، ولا حياة لعلم بدونها . يلتقي عندها العلماء ، ويعول عليها الطلاب ، وعلى أساسها يقوم التأليف والنشر . تسير بسير العلم ، وتقف بوقوفه . وهي لغة الوضوح والدقة ، والبيان والسرعة . يصطلح عليها العلماء ، فتصبح لغتهم الخاصة . ولكل علم مصطلحاته ، وكلما تقدم البحث فيه نمت وتباينت وتحددت . يبدأ المصطلح هزيلاً متردداً ، ثم لا يلبث أن يقوى ويستقر ، وتاريخ العلوم إلى حد ما تاريخ لمصطلحاتها .

* * *

ولو رجعنا إلى تاريخ العلم اليوناني لوجدنا أن لغته بدأت تتكون معه منذ القرن السادس قبل الميلاد ، ثم أخذت تنمو وتتضح في القرنين الخامس والرابع . فغذاها فيثاغورس برياضياته ، وأمدها أبقراط بطبه ، وأقام أرسطو دعائم لغة العلوم الطبيعية . وللعلوم الفلسفية والإنسانية لغتها ومصطلحاتها التي ساهم فيها أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو وزينون وأبيقور . وقد انتقل قدر غير قليل من لغة العلم اليونانية إلى الثقافات اللاتينية والسريانية والعربية ، ولا تزال بعض آثارها باقية إلى اليوم في اللغات الأوربية الحديثة .

ولم تنشأ لغة العلم في الإسلام دفعة واحدة ، بل نمت وتنوعت بنمو العلوم وتقدمها . فبدأت العلوم الدينية منذ القرن الأول للهجرة في تكوين لغتها ، وظهرت مصطلحات في الفقه والتفسير والكلام ، وتلتها أخرى في الأخلاق والسياسة ، والطب والكيمياء ، والفلك والطبيعة . وخضع المصطلح العربي القديم لسنة النشوء والارتقاء ، فنما وتطور على مر الزمن . وعوّل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

واضعوه على النقل والاشتقاق ، ولم يبالوا بأن يكون عربياً أصيلاً أو معرباً دخيلاً ، وربما آثروا المعرب إذا كان أدخل في المعنى وأكمل في الأداء . وكثيراً ما يحمل التعريب شارة الأصل الذي نُقل عنه ، فنلحظ الألفاظ الفارسية في مستحدثات الإدارة والحضارة ، واليونانية والسريانية في العلوم الفلسفية والطبيعية . وإذا ما لوحظ أن مصطلحاً لا يؤدي معناه أداء كاملاً عُدل عنه إلى ما هو أدق وأضبط .

وما ان حل القرن الرابع الهجرى حتى اكتملت لغة العلوم في الإسلام ، واستقرت مصطلحاتها ، بحيث تنوسي معناها الأول ، ولا يكاد يُفهم منها إلاّ مدلولها العلمي الخاص . وتداولها الباحثون في المشرق والمغرب ، ولم تختلف من قطر إلى قطر ، فكانت لغة العلم واحدة في قرطبة والقيروان . والفسطاط ودمشق ، وبغداد وأصفهان . وبدىء بتسجيلها في معجمات خاصة تحت اسم « مفردات » أو « تعريفات » ، ومن أوائلها « مفاتيح العلوم » للخوارزمي الذي ظهر في النصف الثاني من القرن الرابع . ومن المصطلحات العربية ما انتقل إلى الفارسية والتركية ، ومنها ما سرى إلى اللاتينية بل وإلى بعض اللغات الأوربية الحديثة كالإنجليزية والفرنسية .

ويوم أن ركد البحث العلمي في الإسلام ، ركدت لغته معه فجمدت المصطلحات ، وأضحت ولا تجديد فيها ولا ابتكار ، وكان هم الخلف أن يردد ألفاظاً وصيغاً قال بها السلف ، وأصبحت اللغة العلمية ركيكة معقدة . ثم جاءت النهضة العلمية العربية الحديثة في القرن الماضي على فترة من البحث والدرس ، وحاولت أن تتدارك بعض ما فات . ولكن رجالها الأُول — فيما يظهر — لم يكونوا على علم بماضيهم ولا على صلة وثيقة بعلومهم ومصطلحاتهم القديمة . فلم يفيدوا كثيراً من هذا التراث ، وأخذوا يؤدون الحقائق العلمية أداء لا يخلو من تعجل أو خطأ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكان على أبناء القرن العشرين أن يتداركوا هذا النقص ، ويصلحوا هذا الخطأ . وكان عليهم خاصةً أن يتابعوا سير العلم في العصر الحاضر ، ولم تُستحث خطاه قط بقدر ما تستحث اليوم . وأضحت المصطلحات العلمية في نمو مطّرد ، وتجديد لا ينقطع ، ولها في اللغات الأوربية معجمات خاصة تُزاد وتستكمل عاماً بعد عام . ونستطيع أن نقرر أن العلوم العربية الحديثة قد خطت في نصف القرن الأخير خطوات فسيحة ، أحيت بها مجد الماضي ، وتابعت سير الزمن . وأخذت تكوّن من جديد لغتها الخاصة مستعينة بالدراسات الجامعية من جانب ، وبالمجامع اللغوية والعلمية من جانب آخر .

* * *

وللعالم أن يختار اللفظ الذي يرتضيه لأداء الحقيقة العلمية ، وحقه في وضع مصطلحاته لا يصح أن ينازَع ، وحريته ينبغي أن تكون مكفولة . ولكن هذا الحق ليس على اطلاقه ، وهذه الحرية لا تخلو من قيود . وقد يشكو العلماء من قصور اللغة عن أداء ما يريدون ، فيلجئون إلى الرموز والإشارات ، كما صنعوا في الرياضة والكيمياء . وللغويين شكواهم من تهجم العلماء على اللغة ، فيشتقون على غير قاعدة ، وينحتون في غير ما داع ، ويسرفون في التعريب واستعمال الألفاظ الدخيلة . وما أجدر الطرفين أن يلتقيا عند كلمة سواء .

فعلى العلماء أن يحيوا أولاً كل ما يمكن إحياؤه من المصطلحات القديمة ، فان لم يجدوا فعليهم أن يقيسوا ويشتقوا من العربية . ولم يبق محل للتشكك فيما ترخص فيه اللغويون من جواز الاشتقاق من أسماء الأعيان والجواهر ، فيقال مكهرَب وممغنَط ، كما قال العرب قديماً مذهب ومفضض ولا للتشكك في قياسية المصدر الصناعي فيقال المثالية والكانطية ، كما قيل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قديماً الجبرية والقدرية . ولنا أن نقيس فيما لم يقل بالقياس فيه لأداء دلالات خاصة ، فنستحدث أوزاناً جديدة لاسم الآلة ، أو للدلالة على الحرفة أو الداء . ونجيز النسب إلى جمع التكسير كأحياني ، وكان يقصر في الماضي على المفرد . وكل تلك أمور أقرها مجمع اللغة العربية منذ ربع قرن أو يزيد . وأن لغة تيسر القياس والاشتقاق على نحو العربية ، لايعز عليها أن تجد من الألفاظ كل ماتدعو الحاجة إليه .

وفي العامية قدر غير قليل يرجع إلى أصل فصيح ، وفي وسع العالم أن يفيد منه لوضع مصطلحه ، وبذا يرد إلى الفصحى ما أخذ عنها . فان لم تسد العامية ولا الفصحى حاجته ، فله أن يلجأ إلى التعريب . وقد عرب العرب قديماً فأخذوا عن اليونانية والهندية ، والسريانية والعبرية ، والفارسية والتركية . وعرب المحدثون عن الاسبانية والإيطالية ، والإنجليزية والفرنسية . غير أنه يجدر بنا أن نقف بالتعريب عند أضيق الحدود الممكنة ، فيعرب خاصة مايدل على أسماء الأعيان وأعلام الجنس كأكسيجين وهدروجين ، أو مايدل على تصنيف عام من أجناس وأنواع في النبات والحيوان (١) ، أو على سلسلة مواد متشابهة في الكيمياء ، أو ماينسب إلى علم من اسم شخص أو اسم مكان . أما ماوراء ذلك من الألفاظ المأخوذة من اللغة الدارجة فالأولى به أن يترجم . ويحتفظ في التعريب بالأصل ، مع تقريبه من النطق العربي ما أمكن ، ويحسن أن يضبط المصطلح المعرب تيسيراً لنطقه ، إلى أن يدخل صلب اللغة ويصبح جزءاً منها .

(١) لقد أوضح الأمير مصطفى الشهابي « مدى التعريب في ألفاظ تصنيف المواليد » في بحثه الذي أقره مجمع القاهرة ونشره في مجموعة البحوث والمحاضرات لدورة مؤتمر المجمع السادسة والعشرين ص ١٣١ ثم ص ١٤٣ . ونشر أيضاً في المجلد ٣٥ من هذه المجلة . (لجنة المجلة)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقيمة المصطلح في انتشاره والأخذ به ، وبذا يصبح جزءاً من اللغة العلمية . أما أن يختلف من باحث إلى آخر ، ومن قطر إلى قطر ، فإنه يبقى عملة غير متداولة ، ولا يجدي في تعاون العلماء وتفاهمهم ، وكم من مصطلحات ولدت ، ثم لم تلبث أن ماتت . وتوحيد المصطلح العلمي ليس مما يلزم به قانون ، أو تفرضه سلطة قاهرة . وسبيله الطبيعي إنما هو الكتابة والتأليف ، ونشر المصطلحات لكي تذاع وتعرف . وينبغي أن يلتقي العلماء من حين لآخر في مؤتمرات منظمة ، أو في لجان أو مجالس ليتبادلوا الرأي في لغتهم ، ويتداركوا ما فيها من قصور أو خلل .

ولقد كان لليونان لغة علمية مسلّمة ، ومن بعدهم الرومان ، وبقيت اللاتينية لغة العلم وحدها في أوربا طوال القرون الوسطى . وأشرنا من قبل إلى أنه كانت هناك لغة موحدة للعلم في العالم العربي شرقاً وغرباً . ويوم أن اضطربت الألسن في اوربا ، وأحس ليبنتز في القرن السابع عشر بانكماش اللاتينية ، شاء أن يحل محلها لغة علمية عالمية ، وأساسها حصر الأفكار الإنسانية ووضع رمز لكل واحدة منها . وإذا كان لم ينجح في محاولته ، فإنه وجه النظر إلى اللغة العالمية التي لاتزال مطمح كثيرين . وفي وسع العربية على كل حال أن تكوّن اليوم ، كما كوّنت بالأمس ، لغة علمية مشتركة بين أبناء العرب على السواء ، مهما تباعدت أوطانهم وتنوعت لهجاتهم .

* * *

ولغة العلم وثيقة الصلة بلغة الأدب ، تتعاونان وتتفاعلان ، ولا تكاد توجد نهضة أدبية إلا وتصاحبها نهضة علمية ، وكم من علماء وفلاسفة هم في الوقت نفسه أدباء . ويوم أن ازدهر العلم اليوناني ، ازدهر معه الأدب ، ووجدنا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في أثينا إبان القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد حركة علمية وأدبية زاهرة ، وأفلاطون بين اليونان رمز للأدب الرفيع وصاحب الأكاديمية . وفي القرن التاسع والعاشر الميلادي ، اقترنت في بغداد النهضة الأدبية بالنهضة العلمية ، ورأينا أئمة في العلم والأدب معاً ، مثال النظام والجاحظ . وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وصل الأدب الفرنسي الى قمته ، واتسعت آفاق البحث والدراسة العلمية ، وبسكال مثلاً رياضي وأديب في آن واحد . وأدب اليوم ذو طابع علمي واضح ، ويحرص العلم بدوره على أن يعرض في ثوب أدبي قشيب ، ويكفي أن نشير الى برجسون شيخ الفلسفة الفرنسية المعاصرة الذي يعد بين كبار الأدباء .

وفي العالم العربي نهضة أدبية وعلمية لا شك فيها ، وقد بدأت تؤتي أكلها . وسيؤدي العلم فيها رسالته ، ويساهم في كشف المجهول إلى جانب الجهود التي تبذل شرقاً وغرباً . وعلينا أن نوفر له كل وسائله ، وفي مقدمتها لغة دقيقة واضحة حية متحركة .

الدكتور ابراهيم مدكور

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net